حول نقد مسرحية «ابن جلا»

للاستاذ أنور فتح الله

نشرت الرسالة بالعدد رقم ٩١٠ نقداً لى عن مسرحية « ابن جلا » ، وبالعدد رقم ٩٠١ تصدى للتعقيب على هذا النقد الأستاذان إسماعيل رسلان ، وعبد الفتاح البارودى . وقد اختار الأستاذان ، أن يتعديا الناحية الموضوعية للنقد إلى التعريض بشخص الناقد ، لأسباب لا داعى للتعرض لها ، حتى لا أجعل من هذه المجلة التى تحمل رسالة الفن والثقافة ميداناً لشئ من هذا القبيل

وأحب أن أقول للمعقبين ، ولمن يعنيه أمرهما ، وأمر فرقة المسرح الحديث إن النقد كما يفهمه المحبون للفن ، المخلصون له ، لا يعنى الهدم . وإن الشخص الذى يضيق بالنقد ، ولا يريد أن يفيد منه ، قد يكون غير مهيأ بتركيبه السيكلوجى للنجاح الذى ننشده للمسرح المصرى فى عهده الجديد ... وليس إخفاء النقص بوسائل مفتعلة يعنى أن النقص غير موجود ، كما أن السعى إلى طلب الثناء بأى ثمن لن يكون وسيلة لإنشاء مسرح صحيح

وباستعراض آراء المعقبين ، نرى أنهما قد التقيا فى بعضهما ، وتعارضا فى البعض الآخر فكان مما التقيا فيه ، تفسيرهما للمسرحية التاريخية وحق المؤلف فى خلق الشخصيات فى المسرحية التاريخية . فبدأ الأستاذ البارودى تعقيبه بعرض طويل لآراء النقاد فى المسرحية التاريخية ، وانتهى بأن قرر بأن نقاد المسرح قد أجمعوا على أن طبيعة حوادث التاريخ تغاير طبيعة الموضوع المسرحى . وبهذه النتيجة انتهى الأستاذ إلى الرأى الذى استندت أنا إليه ، وطبقته على المسرحية . وهو مع هذا يخطئ تطبيق لهذا الرأى ، ولا يحاول أن يبين الأساس الذى استند إليه فى هذا الحكم وهما يريان معاً ، ألا محل لمؤاخذة المؤلف على خلق شخصية الأهوازية . وأحب أن أقرر أولا أنه ما دامت هناك شخصية حقيقية تستطيع أن تؤدى نفس الغرض الذى يقصد إليه المؤلف فلا محل لخلق شخصية خيالية ، وهذه الشخصية الحقيقية كما سبق أن بينت هى شخصية هند بنت أسماء . ولا محل لاعتراض الأستاذ رسلان بأن هند بنت أسماء لا تحتل من حياة الحجاج سوى سنة واحدة ، وكأنه قد فرض على المؤلف أن يصور حياة الحجاج مدى ربع قرن

أما مطالبتنا بأن تكون شخصية الأهوازية ذات واقع تاريخى ، فلا يعنى مطلقاً أننا نحرم خلق شخصيات لم يرد ذكرها فى التاريخ ، وإنما نعنى — كما يفهم كل مشتغل بالنقد الفنى — أن يصدق خيالنا فى خلق الشخصية حتى يجعلها واقعية الصورة ، فلا تبدو شاذة فى الحياة التاريخية الواقعية التى تعرضها المسرحية . فقد بدت الأهوازية فى صورة مغامرة من طراز رعاة البقر ، فأهدر المؤلف بذلك حق الحياة العربية فى ذلك الزمن الذى لم يشهد هذا النوع من النساء المغامرات . وأهدر أيضاً تصوير الواقع النفسى لشخصية الحجاج فلم تكن الأهوازية فى موقفها منه فى جميع مشاهد المسرحية ، موضوعاً لعاطفة أو وسيلة لتحقيق مطمح من مطامحه المريضة . وقد افتقر دورها فى المسرحية على خلق الحركة بطريقة « بهلوانية » ... وعلى نحو ما قصدناه سار برناردشو وأمثاله فى خلق الشخصيات المتخيلة فى المسرحيات التاريخية . ولعل الأستاذ البارودى قد فهم برناردشو على غير ما يفهمه الناس

وقد التقى المعقبان أيضاً فى فهمهما للصراع المسرحى فقال الأستاذ رسلان إنه يخيل إليه أنى أرى أن المسرحية يجب أن تصور الصراع الماطق . وقال الأستاذ البارودى ، إن الصراع لا يكون حتماً بين شخصيتى البطلين . وأسأله أى صراع فى هذم

المسرحية غير ما بين الأهوازية والحجاج ؟ ... أما باقي المسرحية فشاهد لم تصور دراماتيكا ووقفت عند حد الحكاية وعرض النتيجة. فهلا كان الأجدر بالمقب أن يجر - من تقديم مبادئ تسيء إلى المسرحية التي يدافع عنها ؟ ...

وقد اتفقنا أيضاً في الرد على ما أخذته على المسرحية من تكرار في المواقف العاطفية ، فاعتبر أحدهما أن ما أعده عيباً هو أسمى ما يصل إليه المؤلف المسرحي من تصوير الشخصية المتماسكة المطردة . وقال المعقب الآخر إن كبار المؤلفين كثيراً ما لجأوا إلى ما يشبه التكرار إما بالمعارضة أو المطابقة . ويؤسفني أن أحتاج إلى القول بأن المعارضة أو المطابقة إنما تأتي للتلوين وعرض جوانب مختلفة من الشخصية . بعكس ما رأيناه من إعطاء اللون الواحد في مواقف متعددة ، وهذا هو التكرار الممل .

هذا ، ويناقض الأستاذ رسلان نفسه ، فيقول إن المؤلف قد أصاب إذ خلق شخصية الأهوازية لتسد الفجوة العاطفية التي أهملها مؤرخو العرب . ثم يعود في موضع آخر فيقول إنه « لو لان الحجاج للأهوازية ، وتذكر لطبيعة قلبه الصلد ، لأنكرنا من المؤلف صورة شوهاء للحجاج لا تمثل شخصيته التاريخية . » فأية فجوة عاطفية يسترها المؤلف بتصويره للأهوازية ما دام قلب الحجاج سيظل مغلقاً ؟ ... وما الغرض إذن من تصوير هذه الشخصية ؟ ... لا شك في أن الدافع الذي ساق الأستاذ إلى هذا التناقض ، هو الرغبة في المغالطة وتسفيه الرأي . فهو عند دفاعه عن شخصية الأهوازية يرى أنه من حق المؤلف أن يصور حياة الحجاج العاطفية ، فإذا ناقشنا الخط العاطفي الذي رسمه المؤلف ومدى فاعليته من المسرحية ، عاد فأنكر حق المؤلف في هذا التصوير . وهكذا لم يستطع التمييز بين الحق والباطل

ولقد استهل الأستاذ رسلان تعقيبه بتوهمه أني أخطأت خطأ كبيراً عند ما قلت إن الأهوازية ألقت بنفسها في النهر هاربة . وقد بنى على هذا الخطأ المتوهم نتيجة كبرى ، وهي أنني غير جدير بنقد البواعث الخفية للأشخاص الخ .. ولا أحسب الأستاذ جاداً في رمي من كتب هذا النقد الذي أفزعه بمثل ما رماني به من عدم الإلمام بأحداث المسرحية

أما البديهية التي تبرع بها انا فرجائي إليه أن يحتفظ بها لنفسه ، لأنها ليست من بديهيات العصر الذي نعيش فيه . ويستطيع أن يرجع إلى أستاذه في ذلك ليزيده علماً بمثل هذه البديهيات ، ويشرح له تطورات المسرحية الحديثة ومقدار فهمها للشخصية الإنسانية

هذا ... وأحب أن أقول للأستاذ البارودي ، إني قد ذكرت رأيي في التمثيل في حدود التشجيع المرعي لكل مبتدئ في عمله الجديد ، وأترك له رأيه في الحكم على مقدرة المشرف على الفرقة التي يعمل داعية لها . وإني أستميحه عذراً في أن أهمس في أذنه لأذكره برأيه الذي أبداه لي في هذه المسرحية في الليلة الأولى من عرضها ، وما بدا في رأيه من سخط على المسرحية والممثل وما كنت أعتقد أن الناقد المخلص لفنه ينتقل هكذا سريعاً من طرف إلى طرف

وبعد ... فلست أحب أن أشغل القارئ — ولا أن أحرج المجلة الوقورة التي نقدت فيها — بالكشف عن الدوافع الشخصية التي أخرجت هذه التعقيبات ، كما أتجاوز — كرماً — عن الرد على ما تساقط من أقلام المعقبين مما يدخل في باب المهاترة لا في باب النقد

أنور فتح الله

العدد القادم هو
عدد الرسالة
السنوي الممتاز
يصدر في أول يناير سنة ١٩٥١
بمناسبة الذكرى العظيمة
لمولد الرسول